المثـــل بالمثـــل

للاب ر . ص اليسوعي

قال الرب في انجيله الطاهر بالكيل الذي تكيلون للناس يُكال لكم وتُزادون فأن يكيل اذن الانسان لابن جنسه كيلاً حسناً خير له اذ يعود احسانهُ الى نفسه وينجو من عاقبة الشر الناجمة عن كيلة السوء . وهذه رواية خبر حديث تؤيد تعليم السيد المسيح والامر قد جرى في روسيا في اوّل عهد فتح المحاكم القضائية للعموم

خرجت احدى سيدات بطرسبرج مع زوجها في صباح احد المواسم تخطر في ابهى ملابسها وتجرّ ذيل ثوبها الفاخر الذي لبستهُ ذلك اليوم لاوّل مرّة وكانت تكنس به الازقة وتثير غبارها في وجه المارّين

فحدث ان احد الضباط مرَّ بتلك الطريق والناس فيها مزدحمون وهو مسرع في سيره ليبلغ محلّ مأموريته قبل الوقت المعين لئلّا يقع تحت تبعة النظام فعثرت رجلهُ بثوب السيدة فشقّ طرفهُ غير متعمّد لذلك فساءهُ صنيعهُ واسرع الى السيدة يستبيح منها عذرًا ويوجو منها ألّا تحمل ذلك على نيّة سيئة لكن السيدة امتعضت من فعله واخذت توبّخهُ امام الحضور فعاد الضابط يستغفر منها ويؤكد لها انهُ لم يقصد بفعله سوءًا واراد ان يواصل المسير اذ تقدّم اليه زوج السيدة وقد احتدم غيظاً على الضابط فقال : لا يجديك اعتذارك نفعًا فانك بنسا فعلت ولا بدَّ من التعويض عن هذه الخسارة

— سيّدي ليس هنا محلّ الغضب فاني رجل مأمور لا يمكني ان اتأخر دقيقة عن مسيري الى مركز مأموريّتي والطريق ضيقة لازدحام السابلة وثوب قرينتك طويل الذنب

— كفَّ عن الهزء والسخريّة فاني اطلب ان تؤدي حق الثوب

فاردفت السيدة : نعم انَّ هذا الثوب قد كلفني مئتي روبيّة ولم البسهُ قبل اليوم فعليك بدفع قيمته

قال الضابط : اكرّر رجائي ايها السيدان بأن لا تؤخراني عن ميعاد مأموريتي فاقع تحت طائلة القوانين العسكريّة ولا يخفى عنكما ان العقاب شديدٌ على المتجندين ان لم

يحضروا في ساعة تقتضيها مهنتهم . اما مطالبة السيدة بحق ثوبها فاظنهُ ضرباً من المداعبة اذ اكّدتُ لحضرتها اني لم اشقّ طرف ذيلها على تعمُّد

— كلّا بل انت مسؤول عن قيمة الثوب فعليك بدفعهِ

— دَعاني اذهب الى الدار العسكريّة

— ادّ حق الثوب واذهب حيثما تشاء

فعلا الاصفرار وجه الضابط وهو لا يدري ما يفعل وكان بودّه لو يدفع ضعف المال المطلوب ليتخلص من نظر الناس المتجمعين حولهُ الّا انهُ كان فقيرًا لا يملك لمعاشهِ غير اجرة مأموريتهِ التي لا تبلغ في السنة كلها مائتي روبيّه فكيف يدفع هذا المبلغ في يوم واحد

— سيدي لا املك في محفظتي غير روبيّتين فها هما واتركاني اسير في سبيلي

قالت السيدة : هذا تمخل لا طائل تحتهُ فاني لا ارضى الّا بثمن الثوب

وقال رجلها : ها هوذا مركز القضاء فسوف نرى ايوجد لديك المال ام لا

قال هذا ثمّ دفعا الضابط الى دار القضاء رغمًا عن تكريره الاعتذار لهما . وكان الضابط يستطيع ان يفرّ من ايديهما او يصرعهما لكنهُ ابى ذلك صيانة لشرف الثوب العسكري فمشى معهما وحمرة الخجل تصبغ جبينهُ ودخلوا مجلس القضاء فاشار القاضي اليهم ان ينتظروا حينًا ريثما تأتي نوبتهم فجلسوا وكان الضابط واجمًا مطرقًا الى الارض لا يبدي حراكًا لكن قلبهُ يتقلّب على احرّ من جمر القتاد لا سيما ان الصاعة كانت غاصة بالحضور وهم يشخصون اليهِ ويتذمّرون من وجوده في هذا المحلّ ولا يشكّون انهُ جنى جناية عظيمة

فبعد ساعة من الزمان حسبها الضابط دهرًا من الدهر انتهت النوبة الى غريمهِ فقاما ورفعا الى القاضي شكواهما ونسبا الى الضابط التعدّي عليهما بخرقهِ ثوب السيدة وختما الكلام بطلب قيمة ثوبها

فالتفت القاضي الى الضابط وطلب منهُ اعتذارهُ ما يدافع بهِ عن نفسهِ فقال الضابط :

ليس عندي سوى كوني لم اصنع ذلك متعمدًا فاني كنت مسرعًا في السير مضطرًا الى العجلة لئلّا يفوتني ميعاد المأموريّة ولو لحظ مررت قريبًا من هذه السيدة وطرف

ثوبها يكنس الارض فزقتهُ برجلي على غير قصد ولما قدَّمت لهـا وزوجها الاعتذار عمَّا فرط مني سهوًا لم يقبلا عذري بل أصرَّا على الظنّ بأني فعلت ذلك تعدّيًا . فان شاءت السيدة كرَّرت هنا امام الجميع عبارات الاستغفار منهـا فتتحقق اني لم اتو بفعلي هذا ادنى اهانة لشخصها

وكان الحضور يميلون سمعهم الى هذه الدعوى الغريبة فلما سمعوا كلام الضابط وعرفوا حسن نيتهِ من صدق لهجتـهِ تأثروا من عمل الزوجين وجاهروا باستيائهم من معاملتهما للجندي فاسكتهم القاضي وسأل السيدة أتقبل بهذه القرضية . فاجابت :

كلَّا لا أرضى الَّا بان يدفع لي ثمن ثوبي وهو مائتا روبيَّة

قال القاضي للضابط : ترى اصرار السيدة على مطالبتك بالمال فهل لك ان تدفعهُ

قال الضابط ولسانهُ يتلجلج في الكلام لاضطراره بالاقرار عن عجزه وفقر حاله :

لو كنت حاصلًا على هذا المبلغ لما رآني احد في هذا المقام لكنني . . قليل ذات اليد . . . ولا تكاد تفي اجرتي بمعاشي

فقال القاضي للسيدة : سمعتِ عذره فما رأيك

فصمتت السيدة وبقي الحضور ساكتين كأنَّ على رؤوسهم الطير وهم لا يشكُّون بانَّ السيدة ترثي لحـال الضابط وتطلق سراحهُ . وكان الجندي يودّ لو خُسفت بـهِ الارض لينجو مما لحقهُ من الخجل وهو مع ذلك يتجلَّد ما استطاع لكنـهُ كان يتنهد الصعداء من وقت الى اخر اذ كاد الدم يخنقهُ من شدة خجلهِ . فبعـد برهة كرَّر القاضي على السيدة قولهُ :

أترضين بهذا التعويض

قالت السيدة : لا ارضى واني اريد حق ثوبي

فضجَّ الحضور وكاد يعجز القاضي عن اخماد ثائرتهم فقال للمرأة : تأملي في عاقبة صنعك فان اصررتِ على طلبك وليس للضابط ما يخلص بهِ نفسهُ حكمت عليهِ بالسجن فخسر رتبتهُ في الجنديَّة دون ان تنالي مطاربك منهُ

فتقرَّب رجل المرأة من زوجتهِ وأسرَّ اليها شيئًا كأنهُ يطلب منها بان تتنازل عن عن حقوقها خوفًا من الحضور الذين تتفحصوا لهذا النظر وسلقوها واياه بالسنة حداد . فصرفتهُ عنها قائلة :

لا أرضى او يؤدّي لي بحقي

فقام حينئذٍ القاضي لينفرد باستشاريه ويتفق معهم على عقاب الجناية اذ صرخ احد الحضور بصوت جهور : انا ادفع المئتي روبيّة عن الضابط

ثم خرق الصفوف وتقدّم الى صدر المجلس فاذا هو رجل في مقتبل العمر لابس ثياب الاعيان على سحنته امائر الكرم والشهامة فقال للضابط : خذ هذا المال من البارون ب .. واصرفهُ في كربتك

فقال الجندي : سيدي البارون لست لأرضى بقبول هذا المبلغ اذ لا ادري ايمكني اعوّض عنهُ لسعادتك

— هذه هبة محضة لا اطالبك بها وان لم تقبلها بهذه الصفة فتردها متى شئت

ثم مال البارون الى اذن الضابط وكلمهُ همساً بكلمات لم يسمعها غيرهُ فبشَّ لها وجه الجندي كانهُ فُتح لهُ باب الفرج فتناول المال من يد البارون ثم مدّه الى السيدة قائلًا :

هاءنذا قد سلّمتكِ المال أفيبقى لكِ عليَّ شيء

قالت السيدة وقد لاح على محيّاها سمة البسط والعجرفة لظفرها بمطلوبها وتذليلها لغريمها : قد برئتْ ذمتك فما بقي لي عليك حق

قالت هذا وحاولت الخروج الّا ان الضابط تبسم لها وامسكها قائلًا : على رسلكِ سيدتي فانك ان نلت حقك فاني انا لم انلهُ

— واي حق لك عليَّ ؟

— قد ابتعتُ ثوبك بمائتي روبيّه كما كلّفك فالثوب اذًا صار ملكي فأريد ان تعطيني مالي

— اني سأفعل وها انا عائدة الى بيتي فارسل لك الثوب الى منزلك اذا دللتني على عنوانهِ

— كلّا ايتها السيدة . فاني اذا ابتعت مالًا قبضتهُ للحال فأرغب اليكِ ان تنزعي الثوب وتعطيني مالي

ما انتهى الضابط من هذا الكلام حتّى رقص الحضور طربًا وصرخوا : نعمًا القول الثوب ملكك فلك الحق بقبض مالك

فارادت السيدة ان تتصل لكن الضجيج تضاعف ولم يمكن القاضي ان يُسكت الحضور الّا بعد الجهد الجهيد . فعاد الضابط الى طلبه من السيدة ان تنزع عنها ثوبها وتعطيهُ صاحبهُ الجديد

فامتقع وجه المرأة وشعرت بانها وقعت في شرك الضابط لما زوجها فقال للجندي :

هذه جسارة وقحة منك كيف تريد ان امرأتي تتجرّد من ثوبها في هذه الصاعة امام الحضور

— . . . ليس لي معكَ كلام وانّما الصفقة كانت بيني و بينك ايتها السيدة فانكِ اضطررتني على ابتياع ثوبك على الرغم مني فها قد دفعتُ حقَّهُ فلم يبقَ الّا ان تنزعيه وتسلّميه لي بسرعة لان واجبات وظيفتي لا تسمح لي بالانتظار

فجعل الحضور يقهقهون بارجلهم ضحكًا و يقولون : هذا الصواب فكما اقتضت السيدة حق ثوبها سريعًا كذلك يحق للجندي أن يأخذ مالهُ دون تأخر

فقالت السيدة : ليس هنا مجال للهزل فاني أرسل لك الثوب قريباً

قال الضابط : لا تخرجين او تؤدي لي حقي

فكُسر في عضد تلك المرأة واخذت تلين لهُ القول وتتوسل اليهِ بان يمهلها الى ان تعود الى بيتها . فتعجّب لها الضابط وقال للقاضي :

سيدي اني اطلب من حضرتك باسم القانون الشرعي بأن تُحصّل لي مالي

فقال القاضي : ايتها السيدة ردّي لهُ ثوبهُ

فلما سمعت المرأة هذا القول ترقرق الدمع في مآقيها وقالت : اتريد ان انتزع ثوبي واعود عارية الى البيت فأصبح سخريّة للجموع

— هذا امرٌ كان يجب عليك ان تستدركيه قبل مطالبتك بحقهِ امّا الآن فما بقي الّا ان تردّي الثوب الى مشتريه . وها انا اعيّن لك مأمورين يساعدانك في نزعهِ

فلما رأت السيدة ما آلت اليهِ الحال اخرجت من جيبها المنتي دوريّة ورمت بها الى الضابط قائلة : خذ مالك ودعني اذهب الى سبيلي

— كلّا ايتها السيدة . فانَّ الثوب يخصّني ولي فيهِ حقُّ التصرف كيفما شئت .

وصاحب المال هو الذي يعين سعره فانَّ هذا الثوب يساوي الفي دوبيَّة مذ تشرَّف بلبسك اياهُ

فزاد الحضور قهقهةً عند سماعهم لهذا الكلام حتى استفزوا ضحكاً وسُمع لتصفيق ايديهم دويٌّ عظيم. وكاد يُغشى على السيدة مما المَّ بها من العار والفضيحة

فتقرَّب زوجها عندئذٍ الى الضابط وقال لهُ: خذ هذه خمسمائة روبيَّة وها انا ادفع لك صكاً بالف وخمسمائة روبيَّة اخرى تقبضها من مصرف الدولة. فلمَّا ختم الصك سلَّمهُ الى الضابط وخرج الزوجان يلعنان الثياب الطويلة الاذناب ولابسيها

اما الضابط فقبض الدراهم ولما خرج من المجلس جعل يفرقها على بعض الفقراء هناك فصفق القوم لصنيعهِ استحساناً. ثمَّ تقدم الى البارون وشكر فضلهُ وتوسل اليهِ ان يسترجع مالهُ فأبى هذا واثنى على اريحيَّتهِ وكرم نفسهِ ووعدهُ بان يقرنهُ بابنتهِ الوحيدة. فكان هذا البلاء الذي حلَّ بالضابط مبدأ تقدمهِ في الثروة والشرف

شرح مثلَّثات قطرب

نشرها الاب لويس شيخو اليسوعيّ

توطئة

القُطرب دويبة حريصة على العمل لا تزال تدبُّ ولا تفتر وبها لقَّب سيبويه اللغوي الشهير تلميذهُ ابا علي محمد بن المستنير النحوي وكان يتردد اليهِ ليأخذ عنهُ العلوم اللغويَّة فقال لهُ يوماً: ما انت الَّا قطرب. فبقي هذا اللقب على ابي علي الذي اشتهر بين النحاة البصريين وعُدَّ في جملة ائمتهم. توفي قطرب سنة ٢٠٦ هـ (٨٢١م) ولهُ عدَّة تصانيف لغويَّة كغريب الحديث وخلق الانسان والاضداد وكتاب فَعَل وأفعَل وغير ذلك مما لم يُنشر اكثرهُ حتى اليوم. قال ابن خلكان في ترجمتهِ: «وهو اول من وضع المثلَّث في اللغة وكتابهُ وان كان صغيراً لكن لهُ فضيلة السبق». ويريدون بالمُثلَّث الالفاظ التي وردت على ثلاث حركات بمعانٍ مختلفة ومثلَّثات قُطرب قد طُبعت في المانية جمعَ المستشرق الاستاذ ولمار (L. Vilmar) الذي نشرها سنة ١٨٥٢ في مربورغ وذيَّلها بالشروح اللاتينيَّة وقد صنَّف كثيرون بعد قطرب على مثالهِ منهم ابو محمد عبدالله البطليوسي والشيخ ابو زكريَّا الخطيب التبريزي وسديد الدين المهلبي والقزَّاز ابو